

العمارة الحثية

عاش الحثيون وأقاموا دولة لهم في مناطق وسط الأناضول (القسم الشمالي الشرقي من آسيا الصغرى). وهي مناطق جبلية، ولكن سيطرتهم امتدت في عهد الازدهار لتشمل أغلب مناطق الأناضول تقريبا.

كشفت الدراسات أن أصولهم أندو أوربية، دخلوا إلى آسيا الصغرى مع نهاية الألف الثالث وبداية الألف الثاني قبل الميلاد.

كانت دولتهم في الفترة ما بين بداية الألف الثاني قبل الميلاد وحتى بداية القرن السادس عشر قبل الميلاد، في طور النمو والتطور، وكانت عمارتهم بسيطة متأثرة بالعمارة في بلاد الشام والرافدين.

لكن تبقى الفترة الممتدة من بداية القرن السادس عشر قبل الميلاد وحتى نهاية القرن الثالث عشر قبل الميلاد، فترة ازدهار وتعرف بالعصر الامبراطوري، لأن الحثيين في تلك الفترة كثيرا ما تخطوا حدود آسيا الصغرى في جبال طوروس، واتجهوا إلى الجنوب في بلاد الشام والرافدين محتلين العديد من المدن والمواقع، ولكن لفترة قصيرة لأن التمرد كان سريعا ما يقوم ضد الحاكم الحثي في المدن السورية. وبذلك لم تدم سيطرة الحثيين على أي من المدن السورية لمدة تزيد على عشرات السنين.

وتعتبر حروب المصريين مع الحثيين من أجل التنازع على بلاد الشام أهم الحروب الحثية. كما تعتبر موقعة قادش التي جرت قرب مدينة حماه على نهر العاصي في القرن الثالث

عشر قبل الميلاد، من أهم وأكبر المعارك مع أنها لم تحقق النصر لأي من الطرفين المتحاربين، لذلك تقاسموا السيطرة على بلاد الشام، بحيث أخذ الحثيون المناطق التي تقع شمال حماة، والمصريون المناطق الجنوبية. ولكن السيطرة لم تدم طويلاً، فقد تحررت المدن السورية واحدة بعد الأخرى من سيطرة المحتلين، وسقطت الدولة الحثية في بداية القرن الثاني عشر قبل الميلاد على أيدي القبائل الدورية القادمة من الغرب عبر آسيا الصغرى.

وقد توزعت المباني الحثية في ثلاثة أنواع من المباني وهي:

- 1- المباني المدنية: من بيوت وقصور، وقد كشف عن بقايا أغلبها في عاصمة الحثيين خاتو شاش التي تقع على نهر الخاليس قديماً شمال شرق أنقرة، وفي بعض المدن الأخرى مثل الجاهيوك وكول تبه.
- 2- المباني الدينية: وهي المعابد، وكانت تبنى بكثرة بسبب تعدد الآلهة عند الحثيين.
- 3- العمارة العسكرية: وتضم الأسوار والمداخل الضخمة والتحصينات، التي تطلب قيامها الطبيعة الحربية والعدوانية للحثيين، وقرر مناطقهم الذي كان عاملاً مساعداً على حبهم للتوسع والسيطرة.

1-العمارة المدنية:

وتشمل بناء البيوت والقصور وإنشاء المدن:

البيت الحثي:

وهو في شكلين أساسيين الأول: بسيط على شكل غرف من طابق واحد مبنية من اللبن المجفف على الشمس والطين. والثاني: عبارة عن بيت من طابق أرضي (قبو) وطابق أول، وتبنى الأساسات في هذا الشكل من الحجارة، ويكون السقف مستوي، وهو من الخشب والحصير مع طبقة من الطين، أما الجدران فهي من اللبن والقرميد. وللبيت الحثي عدة نماذج هي:

- 1- بيت هيلاني أو حيلاني (بيت الراهب): ومخططه على شكل رواق ذي أعمدة في الأمام، وعلى عرض المنزل غرفة أساسية (صالة عرضية) ثم تتوزع بقية الغرف. وبيت هيلاني وحدة معمارية متكاملة لا تقبل الإضافة، وقد انطلق هذا النموذج من العمارة السورية في الألف الثاني قبل الميلاد.

2- مخطط بيت ميغارون أو ميغارون: (Megaron) وهو عبارة عن صالة تحمل سقفها الأعمدة (وتكون في الغالب أربعة أعمدة) وفي وسط الصالة موقد النار الدائري، وحول الصالة تتوزع بقية الغرف.

3- بيت ذو فسحة سماوية: داخلية تتوزع حولها الغرف (وهو مخطط متأثر بالعمارة الراقية).

4- بيت على شكل صالة تتوزع حولها الغرف.

والبيت الحثي بوجه عام هو عبارة عن منزل يضم عدة غرف حسب الوظائف، وهذه الغرف ذات فرش داخلي متواضع، كما أن البيت يفتح على الشارع بواسطة مدخل، أما الغرف فهي منفتحة على الداخل بواسطة نوافذ ضيقة وأبواب.

أما بالنسبة للقصور الحثية: فهي متأثرة إلى درجة كبيرة بالقصور في بلاد الشام والرافدين، إذ بنى الحثيون قصورهم على مرتفع (مصطبة)، وأحاطوها بالجدران السمكية. كما زينوا المداخل بتمائيل مركبة نصف إنسان ونصف حيوان (سفينكس)، وذلك من منطلق واعتقاد ديني بأنها تحمي المبنى وتدفع عنه الأرواح الشريرة، وهذا الأسلوب كان متبع في معظم القصور في بلاد الرافدين.

بالنسبة لتخطيط القصر الحثي، فهو عبارة عن ساحة داخلية كبرى تحيط بها الأقسام والغرف، وكان بناء القصور من المواد المتوفرة (الحجارة- اللبن- الأخشاب)، كما استخدموا الجير (الكلس) في طلي الجدران من الداخل، أما الجدران الأمامية المطلة على الشارع فكانت مكسية بالألواح الحجرية المنحوتة والمزخرفة برسومات مختلفة، وتعرف هذه الألواح باسم الأورستات (Ortostat) وقد استعملت في العمارتين السورية والراقية.

بنيت المدن الحثية منذ الألف الثاني قبل الميلاد، وكان يغلب عليها الطابع العسكري بسبب تحصيناتها القوية، علما بأنها من حيث التنظيم العمراني تشبه المدن في بلاد الشام والرافدين. من أهم مدن الحثيين: العاصمة خاتو شاش وكول تبه والجاهيوك وغيرهما من المدن.

2- المباني الدينية:

وتشمل بناء المعابد وأماكن العبادة التي تعددت عند الحثيين، بسبب تعدد الآلهة، وقد اتخذت أشكالاً مختلفة يمكن حصرها بنموذجين:

الأول: عبارة عن معابد مكشوفة (هياكل حجرية في مناطق جبلية)، نقش على جدرانها تماثيل الآلهة في صفوف جماعية، أو بشكل إفرادي. وأشهر هذه المعابد ما كشف عنها في يازليكايا.

الثاني: عبارة عن معابد مبنية بالأحجار الضخمة، وقد كشف عن بعضها في خاتو شاش وغيرها من المدن الحثية، وهي تتشابه في تصميمها ولا تختلف عن المعابد في بلاد الشام والرافدين إلا في الصالة المقدسة (مكان وجود تمثال الإله)، فهي في معابد بلاد الشام والرافدين تطل مباشرة على الفناء الداخلي، بينما تقع في المعابد الحثية في أحد الجوانب، ويتم الوصول إليها بطريق غير مباشر عبر غرفتين صغيرتين، وبذلك كان على المتعبد أن يدور إلى شماله عند دخوله إلى قدس الأقداس، حتى يكون في مواجهة تمثال الإله الموجود في صدر الصالة المقدسة.

3- العمارة العسكرية:

إن طبيعة الحثيين التي اعتمدت على الحروب والاحتلال، دفعتهم لتحسين مدنهم بأحدث الطرق الدفاعية، التي استطاعوا بواسطتها أن يخلقوا أسلوباً معمارياً لم يسبقهم إليه أحد من الشعوب القديمة التي كانت في الشرق.

وقد اشتملت العمارة العسكرية على التحصينات والأسوار والأبراج، إضافة إلى مداخل المدن المنيعة والمداخل السرية، وقد انفرد الحثيون باستنباط العديد من الأساليب المعمارية الجديدة في بناء الأسوار والقلاع والتحصينات التي كانت تحيط بعاصمتهم خاتو شاش.

وقد بنيت الأسوار الحثية بالحجارة الضخمة، وكان بناء السور مؤلفاً من جدارين خارجي وداخلي يربط بينهما جدران عرضية (جدار ذو وجهين مع حشوة)، ويملاً الفراغ بين الجدارين بالحجارة الصغيرة المخلوطة بالطين، وهذا الأسلوب في بناء الجدران يعطي للسور قوة ومناعة. كما أن الجدران العرضية تحول دون تهدم السور فيما لو تهدم قسم منه، وهذا الأسلوب في إنشاء الجدران يعرف بنظام الصندوق.

إضافة إلى أن الحثيين دعموا الأسوار بالأبراج الضخمة، كما حصنت الأبواب بأبراج على الجانبين. يتألف المدخل من مدخلين خارجي وداخلي يفصل بينهما فسحة، ويتقدم المدخلين تماثيل منحوتة لحيوانات خرافية تضيء على المدخل الهيبة وتحمي المدينة من الشر.

كما أنشئت المداخل السرية تحت جدران الأسوار، فساعدتهم على الهجوم على الأعداء من الخلف خلال الحصار، وحتى يتمكنوا من الثبات في حالات الحصار، كانت تجهز المدن الحثية باحتياطي كافي من المياه والأطعمة والمؤن.

العناصر المعمارية الحثية:

وتشمل استعمال الأعمدة والعضادات، تغطية الفتحات في الأبواب والنوافذ وأبواب المدينة، المداخل ومواد البناء، إضافة إلى أسلوب البناء والتسقيف والأدراج.

الأعمدة والعضادات:

كانت الأعمدة في العمارة الحثية من الخشب، ولا توجد أية بقايا واضحة عن شكل القواعد أو التيجان التي كانت لهذه الأعمدة، أما العضادات فكانت على نموذجين: الأول: عضادات ذات مقطع مربع الشكل، والثاني: عضادات ذات مقطع مستطيل الشكل، وكلا النموذجين كان من الحجر.

تغطية الفتحات:

استخدم الحثيون الأبواب المصنوعة من الخشب، وكان الباب يتألف من فجة واحدة (قسم واحد) يفوق عرضها المتر، وقد استعمل نفس المبدأ في النوافذ، إلا أن النوافذ الكبيرة قسمت إلى أقسام بواسطة قضبان حجرية متصالبة. وقد غطيت الفتحات في الأبواب والنوافذ من الأعلى بسواكف خشبية أو بأقواس حجرية محدبة، وخاصة في الأبواب الضخمة (مثل أبواب المدن).

المدخل:

تتألف مداخل المدن الحثية من مدخلين على شكل قوس، وهي على خط تناظر واحد يفصل بينهما فسحة مسقوفة، ويلى المدخل الداخلي جداران متقابلان يقومان بوظيفة جدار استناد

للمدخل، وتزين واجهات المداخل الخارجية برسوم نافرة لحيوانات ضخمة وخاصة الأسود (لحماية المدينة من الأرواح الشريرة).

الأدراج:

استخدم الحثيون الأدراج الخارجية العريضة أمام الأبواب، كما استعملوا الأدراج الداخلية الضيقة، وكانت مبنية من الحجر أو الأخشاب.

التسقيف:

استخدم الحثيون الحجارة في تسقيف مبانيهم والطين والخشب والقرميد، يتألف سقف الطابق الأول من جسور خشبية توضع مستندة على الجدارين المتقابلين، وفوق الجسور تأتي الأغصان الصغيرة وفوقها طبقة من الطين وطبقة من القرميد. وكانت تسقف بعض المباني الهامة بألواح حجرية ترصف بجانب بعضها البعض، وتستند على الجدران الأربعة للغرفة أو الصالة، وفي هذه الحالة توضع الأحجار متداخلة بشكل متصلب، بحيث تشكل ما يشبه رقعة الشطرنج.

مواد البناء:

إن طبيعة الأناضول غنية بكل أنواع مواد البناء: حجر (بازلت - غرانيت - كلس) وتربة صالحة لصناعة اللبن والقرميد، بالإضافة إلى غناها بالغابات التي تقدم الأخشاب. استعمل الحثيون اللبن والقرميد في مبانيهم كما استخدموا الكلس في طلي الجدران الداخلية.

أسلوب البناء:

اتبع الحثيون أساليب معمارية متعددة في إنشاء مبانيهم، ففي المرحلة الأولى من تاريخ حضارتهم كان أساس البناء من الصخور الطبيعية، التي تقام فوقها الجدران المبنية من الأحجار المتوسطة الحجم. وبنى الجدار في هذه المرحلة بوجهي خارجي وداخلي، ويملاً الفراغ بينهما بالحصى والطين، كما توضع عوارض حجرية في داخل الجدار تقسم الجدار إلى قطع مربعة، تجعل من الجدار أكثر قوة وصلابة فلا يتهدم بسهولة.

أما في عهد ازدهار الدولة الحثية، فقد تغير أسلوب البناء واستعملوا في الأساس أحجاراً غير مشذبة، تقوم عليها الجدران المبنية بالأحجار ذات الأشكال المنتظمة. وكانت الجدران

الخارجية تغطي من الأسفل بألواح حجرية عليها منحوتات ذات رسوم تعبر عن مواضيع دينية أو اجتماعية (الأورتستات)، وقد وضعت هذه الألواح لهدفين، الأول: إضفاء لمسة جمالية على المبنى (الزخارف والنقوش الفنية)، والثاني: لتكون الناظم لبناء الجدار وتحفظه من الرطوبة الناتجة عن مياه الأمطار.

أما إنشاء الجدران العادية فكان يتم بإنشاء الأساس، ثم تقوم فوقه مداميك اللبن، تتخللها الألواح الخشبية في أشكال طولية وعرضية داخل اللبن والطين، مما يعطي للجدار القوة والتماسك كما يشكل عزلا حراريا جيدا.

السمات العامة للعمارة الحثية:

- 1- اعتمدت العمارة الحثية على حرية مساقط ومخططات المباني، وابتعدت عن المحورية.
- 2- أخذت المباني الحثية طابعا عسكريا دفاعيا، بسبب الحالة الحربية والتوسعية التي عاشها الحثيون، وذلك لفقر بلادهم.
- 3- استخدم الحثيون مصاطب واسعة لبناء منشآتهم، كما استخدموا الحجر كمادة بناء أساسية إضافة إلى استعمال اللبن بنسبة كبيرة.
- 4- أضافوا مبتكرات جديدة على العمارة العالمية، خاصة في مجال الأسوار والتحصينات العسكرية.
- 5- استعمل الحثيون المداخل الضخمة ذات التناظر الأفقي والعمودي.
- 6- تأثروا بالعمارة في بلاد الشام والرافدين، كما انتقل تأثيرهم إلى العمارة الآرامية والسورية فيما بعد.

د. عبير شدود